

القلعة الصعبة

نص: نسيم علوان
رسم: نادين صيداني



ما إن رأيت الورقة بيده حتى خلت نفسي غارقة في بحر من الأرقام.. الآلاف والملايين تسبح أمام ناظري، وتحوم حولي كأنها على علم مسبق بعدم انسجامي، وعدم رغبتني بالتواصل معها.

لماذا يضع أبي كل هذه الأرقام؟!

شعرت بالمؤامرة. حملتني أرقامه إلى واقع لا أستطيعه، فقد بدت كأنها تسخر مني.. من ارتجاف مفاصلي، ومن صوت طقطقة بلعومي الفاضحة.

كيف تستطيع أمي أن تعمل وسط هذا الجمع الغفير من الأرقام.. كيف تحافظ على انضباط أعصابها، وقدرتها على المشي المتوازن مخترفة السنتمرات، وجداول الضرب والطرح والقسمة؟

مشاورات، وقياسات، ونشر للأخشاب.. وأخواري يلعبان، ويتمتعان بالتقاط العصي الطويلة، ويتباريان بعضلاتهما اللبينة. الجميع يضحك.. وأنا أحمل فوق كاهلي الرعب من أن يسألني والدي عن مجموع أرقام، أو اخترالها..

رحت أحمل الأغصان أيضاً، وأضعها في شق كبير بين صخرتين، قرب الشجرة.

قال أبي «القاعدة الأساسية المتينة أصبحت موجودة، فالعرزال يلزمه متانة، والتشابك بين الأخشاب القوية يخلق قوة وصلابة».

طبعاً، أمي تصر أن تجرب القاعدة قبل أي منّا، وذلك لعدم المخاطرة بحياتنا أو ب حياة أبي، بعدها يأتي دوري أنا، لكن بعد عراك، وصراخ مع أخوي المزعجين.

قال أبي «هل رأيت يا «أوني» كيف تدخل الرياضيات في كل شيء في الحياة؟».

- نعم يا بابا.

الحقيقة أن اسمي هلن، وأوني هو الاسم الذي أطلقه عليّ أخي، عندما بدأ باكتشاف لغة الكلام.

- طيب.. كم تساوي ٨×٩ يا حلوة؟

يا لهول المفاجأة.. ألا يستطيع المرء أن يستجم للحظات

في هذه العائلة من دون أرقام؟

- لحظة يا بابا، قلت مصطنعة ابتساماً، وأخذت أعد أصابعي، وأصابع أمي وأبي وأخوي، ووضعت بعض الأرقام في رأسي.. ثم تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني وأنا أجيّب:

«إثنين وسبعين». ولم تهدأ روحي حتى تلقيت كلمة «أحسننت» من أمي وأبي.. ثم قلت «حسناً، سأجمع بعض الأغصان».

بدأت أقطف بعض الزهرات الملونة لأصنع لنفسني تاجاً، فابتعدت أستمتع بشمس جميلة، وألاحق فراشة ذكرتني ألوانها بفستان، أحضرته لي خالتي الصيف الماضي، لكن صوت أمي قطع عليّ سلسلة أفكارني:

- استر!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!حاه.. هيا إلى الطعام.

عدت راكضة، وبدأت وجبتي برأس بندورة جبلية، مع «عروس» اللبنة والمناقيش اللذيذة. كل شيء طبيعي.. لا مواد كيميائية، الخيار، الخس، النعنع.. ثم العنب والتين.

تمدد أبي يأخذ قيلولته، وراحت أمي تحكي

حكاية العنزات السبع لأخوي.

وارتفع عرزالنا الصغير قليلاً، فأصبح يشبه غرفة مفتوحة السقف. تسلقت ثلاثة أغصان متتالية كدرج، فوصلت.. يا الله، شعرت بسعادة تفوق الحدود، كنت كأنني معلقة بين السماء والأرض، سرت وتاج الزهور على رأسي مختالة على خشبات العرزال، فلفتت نظري زجاجة علقت فيها ورقة حمراء.. سارعت وفتحتها لأجد فيها:

«حبيبتي أوني.. إذا نشر أبوك ١٢ خشبة طويلة، ثم أعطى نصفها إلى أمك، وأعطتك أمك ثلث ما أخذت، وأعطيت أنت واحدة لأخيك الكبير، وواحدة إلى أخيك الصغير، فكم خشبة تبقى مع أبيك، وكم خشبة تبقى مع أمك، وكم خشبة تبقى معك؟.. «كل عرزال وأنت بخير»!

هذه المرة، ضحكت.. شعرت أن أمي تمازحني، رغم أنها وضعتني في دوامة تشبه حرف الـ «ه» في اسمي.. وها أنا أدور، علني أجد الجواب.

في العرزال نشعرت كأنني معلقة بين السماء والأرض

رحت أحمل الأغصان أيضاً، وأضعها في شق كبير بين صخرتين، قرب الشجرة.

قال أبي «القاعدة الأساسية المتينة أصبحت موجودة، فالعرزال يلزمه متانة، والتشابك بين الأخشاب القوية يخلق قوة وصلابة».

طبعاً، أمي تصر أن تجرب القاعدة قبل أي منّا، وذلك لعدم المخاطرة بحياتنا أو ب حياة أبي، بعدها يأتي دوري أنا، لكن بعد عراك، وصراخ مع أخوي المزعجين.

قال أبي «هل رأيت يا «أوني» كيف تدخل الرياضيات في كل شيء في الحياة؟».

- نعم يا بابا.

الحقيقة أن اسمي هلن، وأوني هو الاسم الذي أطلقه عليّ أخي، عندما بدأ باكتشاف لغة الكلام.

- طيب.. كم تساوي ٨×٩ يا حلوة؟

يا لهول المفاجأة.. ألا يستطيع المرء أن يستجم للحظات

لقد مللت العد، فالوصول إلى حقل «القلعة الصعبة» يستلزم مني أن أعد آلاف الخطوات، عدا عن أنني لاقيت صعوبة عند الاستيقاظ - وأنا في حقيقة الأمر كنت أنتظر على أحر من الجمر الانتهاء من عقوبة الاستيقاظ المبكر، أيام المدرسة، فأمني كثيراً ما كانت تخترق أحلامي وفراشي وأذني.

لقد مللت العد، فالوصول إلى حقل «القلعة الصعبة» يستلزم مني أن أعد آلاف الخطوات، عدا عن أنني لاقيت صعوبة عند الاستيقاظ - وأنا في حقيقة الأمر كنت أنتظر على أحر من الجمر الانتهاء من عقوبة الاستيقاظ المبكر، أيام المدرسة، فأمني كثيراً ما كانت تخترق أحلامي وفراشي وأذني.

